

The missing text and its role in the Poetry of Abu Tammam

Kadija Ahamed Abdulaziz Omar *

Department of Arabic Language, Faculty of Islamic Studies (Sebha), Asmarya University for Islamic Sciences,
Sebha, Libya

*Corresponding author: k.abdulaziz@asmarya.edu.ly

النص الغائب ودوره في شعر أبي تمام

خديجة أحمد عبد العزيز عمر *

قسم اللغة العربية، كلية الدراسات الإسلامية (سبها)، الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، سبها، ليبيا

Received: 27-07-2026; Accepted: 02-10-2026; Published: 15-10-2026

Abstract

The "Absent Text" (al-nass al-gha'ib) is considered one of the most significant concepts in modern literary criticism and a fundamental artistic element in the structure of the poem. It functions by creatively incorporating literary and historical heritage into the poetic work. The Absent Text refers to the presence of prior texts, meanings, or contexts—whether alluded to or quoted—within the poetic discourse. These are bodies of knowledge, cultural frameworks, and historical contexts that the text assumes but does not explicitly state. By employing this technique, a poet imparts new layers of significance to the literary work, demonstrating a sophisticated ability to utilize cultural heritage, proverbs, myths, and other sources to enhance the aesthetic quality of the poetry. Furthermore, the Absent Text serves as an efficient tool for concision and persuasion, acting as a bridge between tradition and innovation. It synthesizes past and contemporary texts to generate new meanings, thereby reinforcing the moral and aesthetic value of the heritage. Crucially, the Absent Text transforms the reader into an active partner in the production of meaning. It relies on a "silent presence"—one that is not articulated directly but is instead decoded through context and implied by the "gaps" in the text. By operating on the principles of brevity and condensation, it requires the reader to complete the image and engage in the act of interpretation. Ultimately, the Absent Text is a mechanism that synthesizes originality and creativity, granting the poem expressive power and profound stylistic beauty while fostering the "pleasure of reception" through the deciphering of symbols and meanings.

Keywords: Absent Text, Intertextuality, Poetry, Abu Tammam.

المخلص

يُعد النص الغائب من أهم المفاهيم في النقد الأدبي الحديث، والعناصر الفنية في بناء القصيدة؛ فهو يسهم في توظيف الموروث الأدبي والتاريخي بأسلوب إبداعي. فالمراد بالنص الغائب هو حضور نصوص أو معاني سابقة داخل النص الشعري من خلال التلميح أو الاقتباس؛ إذ يُعبر النص الغائب عن مجموعة من المعارف والثقافات السابقة والسياقات التي يفترضها النص ولا يصرح بها، مما يكسب النص الأدبي دلالات جديدة ويبرز قدرة الشاعر على توظيف الموروث الثقافي والأمثال والأساطير وغيرها من المصادر، وإضفاء جمال فني على شعره، وإبراز ثقافة الشاعر وقدرته على الإقناع والاختصار. فالنص الغائب وسيلة فنية ثقافية تمكّن الشاعر من إبراز إبداعه وتكوين حلقة وصل بين التراث والإبداع، ليشكل مزيجاً من نصوص سابقة أو معاصرة وإنتاج نصوص جديدة من خلاله، مما يعزز قيمة الموروث المعنوية والجمالية وإشراك القارئ في اكتشاف الرموز والدلالات المؤثرة على القراءة والتأويل. وبذلك يعد النص الغائب وسيلة تجمع بين الأصالة والإبداع، وتمنح القصيدة قوة التعبير وجمال الصياغة والتأثير في المتلقي. إن جمال وقوة النص الغائب يكمنان في قدرة الشاعر على استدعاء ما وراء اللفظ وتعدد الدلالات؛ فهو حضور صامت لا يصرح به ولكنه يُقرأ من السياق ويُستنتق من الفراغات. كما يقوم النص الغائب على أساس الإيجاز والتكثيف تاركاً للقارئ مهمة إتمام الصورة واستكمال المعنى المتشكّل من خلال النصوص الغائبة، وتوليد الدلالة وتكثيفها وخلق لذة التلقي عند القارئ بفك الرموز، مما يحول القارئ إلى شريك أساسي في إنتاج المعنى.

الكلمات المفتاحية: النص الغائب، التناص، الشعر، أبو تمام.

المقدمة

يعد أبو تمام من أبرز شعراء عصره، فهو من شعراء المعاني الغامضة لأنه يعتمد على إحالة القارئ إلى نصوص أخرى، فقد تميزت قصائده بالابتكار وكثرة الصور البلاغية والاعتماد على الثقافة التراثية، كما تعد ظاهرة النص الغائب من الظواهر البلاغية التي تميز بها أبو تمام من خلال تفاعل النصوص وتداخلها فالنص الأدبي لا ينشأ بمعزل عن الموروث الثقافي والديني والفكري، بل يتشكل من خلال حوار مستمر مع نصوص سابقة ومعاصرة لنص الأدبي فيستحضرها الشاعر ويعيد إنتاجها

وفق رؤيته الخاصة ، فقد اعتمد أبو تمام في شعره على توظيف النصوص الغائبة واستحضار أفكار ومعاني من القرآن الكريم والسنة النبوية ، والشعر العربي القديم والمعاصر له ، وقد ساعد هذا التوظيف في تعميق المعنى وتقوية الحجة ، وإضفاء جمال فني وثقافي على شعره ، كما كشف هذا التوظيف للنص الغائب عن سعة ثقافة وإطلاع الشاعر على الموروث السابق الذي منح القصيدة أبعاداً فكرية وجمالية مما أكسب شعر أبي تمام قوة التعبير وثراء في الدلالة ، فالنص الغائب عند أبي تمام لم يكن جماله في عدم الإفصاح بل في الإيماء والفراغ الذي تركه للمتلقى ، وفي تكثيف العبارة وخلق الغموض ، فالنص الغائب يتجدد مع كل قراءة لنص ، فقد تجلت عبقرية أبي تمام في قدرته على الجمع بين الفكر والعاطفة ، وبين الأصالة والتجديد فتميز توظيف النص الغائب بصور شعرية مبتكرة ومعان دقيقة وأسلوب يقوم على الإيحاء والرمز ، وقد أسهم هذا التجديد في النصوص السابقة في الارتقاء بالنصوص ، فالنص الغائب كان من أهم الأدوات الفنية التي اعتمد عليها أبو تمام لإثراء شعره وتعميق معانيه ، كما إن مهارته الشعرية قد تجلت في حسن توظيفه للتراث وصياغته بأسلوب إبداعي متميز .

مشكلة البحث

- ما المقصود بالنص الغائب في الأدب العربي وكيف أسهم في إنتاج الدلالة والمعنى .
- ماهي مصادر النص الغائب في شعر أبي تمام.
- كيف وظف أبو تمام الموروث الديني والثقافي في قصائده .
- ما هو أثر توظيف النص الغائب في المتلقي.
- كيف أسهم النص الغائب في إبراز عبقرية أبي تمام وتميزه الشعري.
- ما دور التضمين والاقتباس والإشارة في تشكيل النص الغائب في شعر أبي تمام .

أهمية البحث

- الكشف عن الأثر الفني والجمالي للنص الغائب في بناء القصيدة .
- بيان دور النص الغائب في تعميق المعاني وإثراء الدلالات اللغوية.
- إبراز مفهوم النص الغائب ودوره في النقد والأدب العربي.
- توضيح دور النص الغائب في تجديد التجربة الشعرية .

الدراسات السابقة

- شعرية التناس بنية الحضور والغياب في شعر أبي تمام ، عبد السلام بالعجال ، مجلة مقاليد ، الجزائر ، ديسمبر 2012 ، المجلد 2 ، العدد 3.
- النص الغائب من السرقات إلى التناس شرح ديوان أبي تمام نموذجاً ، عمار الساسي حلاسة ، مجلة الأثر ، مايو 2010 الجزائر ، العدد 9.
- الوعي الشعري في شعر أبي تمام قراءة نسقية ، عيسى عبد الشافي ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ، فلسطين المجلد 30 ، العدد 12 ديسمبر 2016.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال تتبع مظاهر النص الغائب في شعر أبي تمام ، ورصد أهم مصادره ثم تحليل آليات التوظيف والدلالات الفنية ، بما يحقق عمق لظاهرة النص الغائب ودوره في بناء شعر أبي تمام.

المبحث الأول مفهوم النص الغائب ومصادره في شعر أبي تمام

تقتضي هذه الدراسة الوقوف أولاً على مفهوم النص وبيان دلالاته اللغوية والاصطلاحية ثم الانتقال إلى أبرز مصادر النص الغائب عند أبي تمام

"فقد جاء في لسان العرب النص رفعك الشيء و نص الحديث ينصه نصاً أي رفعه ، ونص كل شيء منتهاه ونهايته ، قيل نصصت الرجل إذا استقصيت مسأله عن الشيء أي تتبعته وبحثت فيها ونص الشيء حركه مستوفياً"¹ كما جاء تعريفه في تاج العروس " النص تزامم القوم أي ازدحموا"² .
ولفظ غياب جاءت في المعاجم العربية من الفعل غاب أو اختفي وابتعد عن الأنظار كقولنا غاب في الأمر غيباً أي توارى أو استتر وغيباً ومغيباً بمعنى محجوب أو مخفي وغيبه عنه انعدام الحضور³ و تأتي بمعنى التصديق كما في قوله تعالى : "وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ"⁴

كما أن مفهوم النص الغائب والتناص من المفاهيم النقدية الحديثة مما ينبغي عرض بعض آراء النقاد في تحديد مصطلح النص فقد عرفه سعيد علوش في كتابه المصطلحات الأدبية " النص والتناص والنص الغائب هو الذي يستدعيه الشاعر أو الكاتب بوعي أو بدونه فهو نص غائب في ذاته ولكن حاضراً بقوة كفكرة أو تضمين أو اقتباس أو إشارة فهو من مميزات النص الأدبي الأساسية وهو النتيجة النهائية لعملية التناص أو التداخل النصي التي تصبح فيها النصوص المتباينة منسجمة داخل إطار جديد لنص جديد والتي تحيل على نصوص أخرى لها أبعاداً أخرى سابقة أو معاصرة لها "⁵
فالنص الغائب هو " مجموعة من النصوص التي تتداخل في نص معطي "⁶ كما له تسميات عديدة في بعض الكتب الحديثة منها الحوار والتعلق النصي والتقارب والتعدد الصوتي⁷ كما يعرف أنه " تقاطع نصوص ووحدات من نصوص في نص أو نصوص أخرى "⁸ .

وفي إطار المقاربة لهذا المعنى يعرفه محمد عزام " تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة بحيث يغدو النص الغائب خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها وأعيدت صياغتها بشكل جديد بحيث لم يبق من النصوص السابقة غير مادتها وغاب الأصل فلا يدركه إلا ذو الخبرة والمران "⁹

وقد تناولت كريستينا هذا الموضوع فعرفته بقولها : "هو جهاز عبر اللسان يعيد توزيع نظام اللغة يكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية ويربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها "¹⁰ .
فمفهوم النص الغائب أصبح شائعاً في النقد الأدبي الحديث لذلك نحد إن المعنى اللغوي قريب من المعنى الاصطلاحي والبلاغي ، وبعد التعرف على مفهوم النص الغائب لغة واصطلاحاً يحسن الانتقال إلى مصادر هذا النص في شعر أبي تمام والتي أسهمت في تشكيل رؤيته الفنية وإثراء دلالات خطابه الشعري من أهمها :

المصدر الديني

التناص الديني له مكانة مهمة في شعر أبي تمام ، فقد استدعى من الموروث الديني وأعاد صياغة المعنى في شعره، ولم يكن التوظيف قائماً على النقل الحرفي بل جاء في إطار فني يعيد فيه الشاعر تشكيل

- 1 - لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، بن منظور المجلد السابع 1988 ، دار صادر بيروت ، ص 97.
- 2 - تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني ، تحقيق إبراهيم التريزي ، دار صادر بيروت ، 1979، ص 57.
- 3 - ينظر لسان العرب ، ابن منظور ، ص 654.
- 4 - سورة البقرة ، الآية 3.
- 5 - ينظر معجم المصطلحات الأدبية سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، ص 38.
- 6 - مفهوم بنية النص "اللسانية والشعرية والأسلوبية والتناصية ، وائل بركات، دار معد دمشق ، ط1، 1996، ص 91.
- 7 - إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، يوسف غليسي ، الدار العربية للعلوم بيروت، ط1 2008 ، ص 391.
- 8 - التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر ، عصام واصل ، دار غيداء للنشر والتوزيع ط1 ، 2011، ص 15.
- 9 - النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي ، محمد عزام ، اتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا ، 2001 ، ص 28.
- 10 - بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1992، ص 229.

الدلالة ، فقد منحت النصوص الدينية أبعاداً جديدة من خلال الإحياء والتضمين والإشارة ، مما أضيف على شعره عمقاً فكرياً وجمالياً ، فتتحول العلاقة بين النص الشعري والنصوص الدينية إلى مرجعية دينية وحضور ثقافي ، كما شكل النص الديني عنصر فعال في إنتاج المعنى وأصبح النص الأدبي غني بدلالات دينية " لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيراً آخرأً ولا وجود لما يتولد من ذاته بل من تواجد أحداث متسلسلة ومتتابعة ومن توزيع للوظائف والأدوار " ¹

" فالنص الغائب يمثل مادة للخلق والإبداع الحر، أي مع عالم الكلام النصي الحر السابق في الوجود العملية التي تستدعي التناص الشعري " ²

ويتجلى ذلك بوضوح في البيت التالي :

لِلْجُودِ سَهْمٌ فِي الْمَكَارِمِ وَالنَّقَى -- مَ رَبِّهِ الْمَكْدِي وَلَا الْمَسْهُومِ
وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ حَبَا -- وَقَرَى خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ ³

يشبه الشاعر الجود بالسهم الذي يصيب صاحبه بالمجد والفضيلة ويكون صاحبه قد نال الرفعة والمجد ويرهن على ذلك بذكر سيدنا إبراهيم " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ " ⁴ فقد وظف أبو تمام قصة سيدنا إبراهيم التي تعد من أشهر صور الكرم ، واستفاد الشاعر من قداسة الآية وقوة دلالتها من خلال استحضار النص القرآني وإضفاء بعد ديني وأخلاقي علي الصورة الأدبية، فقد أكد قيمة الجود والكرم من خلال استدعاء هذا المعنى، مما منح للبيت معنى دينياً وفنياً، فالنص ليس نقطة واحدة أو فكرة واحدة بل هو تقاطع وتعالق وطرق لنصوص أخرى قد لا تكون واضحة من القراءة الأولى .

كما يتبين ذلك بوضوح في قول أبي تمام :

مُضِيئُهُ نَطَقَتْ فِينَا كَمَا نَطَقَتْ -- ذَبِيحَةُ الْمُصْطَفَى مُوسَى لِذَابِحِهَا ⁵

يستلهم الشاعر في هذا البيت المرجعية الدينية ويعكس استحضاراً واعياً للنصوص الدينية من النص القرآني في قوله تعالى: " فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا " ⁶

فالنص الغائب هو قصة البقرة عندما قُتل رجل من بني إسرائيل واختلفوا في معرفة القاتل فأمرهم الله بذبح البقرة ، فالشاعر أراد أن يقول إن الحقيقة التي يتحدث عنها واضحة وقوية ستنتطق بنفسها تماماً كما كشفت قصة البقرة الحقيقة ، فالشاعر لم يقصد القصة لذاتها ولكن قصد النتيجة التي إنتهت إليها القصة وهي انكشاف الحقيقة وزوال الشك ، فقد جعل المعنى أكثر تأثيراً باستناده على نص غائب من القصص القرآني فالتناص مع القرآن يضيف على المعنى قوة وتأثيراً فصار المعنى أعمق من الصورة التشبيهية فكل نص هو " فسيفساء من نصوص أخرى دمجت فيها بتقنيات مختلفة ، ممتصة لها يجعلها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده ، ومعنى هذا إن التناص والنص الغائب هو تعالق أو الدخول في علاقة نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة " ⁷

ولم يقتصر توظيف النص الغائب على القرآن فالكريم فقط بل استحضر الشاعر السنة النبوية أيضاً مما أسهم في تعميق الدلالة وإضفاء قوة بلاغية على المعنى كما في قوله :

مَلِكٌ عَدَا جَارُ الْخِلَافَةِ مِنْكَ -- وَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى بِحِفْظِ الْجَارِ ⁸

1 - معجم المصطلحات الأدبية ، سعيد علوش ، ص 38.

2 - الخطاب والنص المفهوم العلاقة السلطة ، عبد الواسع الحميري ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 2008 ، ص 70.

3 - ديوان أبي تمام ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 283.

4 - سورة الذاريات ، الآية 24.

5 - ديوان أبي تمام ، ص 532.

6 - سورة البقرة ، الآية 73.

7 - مشكاة المفاهيم "النقد المعرفي والمثاقفة " ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، 2000 ، ص 121.

8 - ديوان أبي تمام ، ص 931.

استحضر أبو تمام الحديث النبوي الذي يتحدث عن حسن الجوار قول الرسول الكريم :
" مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ضننت أنه سيورثه " ¹ فقد وظف أبو تمام الحديث النبوي ليؤكد على
وجوب الإحسان إلى الجار ، ورعاية حقوقه وليفني على المعنى قوة دينية وأخلاقية مستمدة من السنة
النبوية .

" فالنص الديني قد يحتوي على قرآن أو أحاديث ، وآثار أدبية والنص الأدبي قد يشمل على أمثال وحكم
ونصوص ، وقد يكون النص مقتبساً من كل أجناس وأنواع الثقافة ، ومهارة الكاتب تجعله يصنع نصاً
جديداً " ² كما في النص :

أَمَّا حَجَجْتَ فَمَقْبُولٌ أَوْ مَبْرُورٌ -- -- مُوفِّرُ الْحَظِّ مِنْكَ الذَّنْبُ مَغْفُورٌ ³

في هذا البيت نص غائب من الحديث الشريف " حج مبرور " ⁴ فقد وظف الشاعر النص الغائب بالتلميح
إلى السنة النبوية التي تبين أن الحج المقبول سبب لمغفرة الذنوب فقد استخدم ألفاظ مثل " مبرور "
" مقبول " وأكد من خلال النص الغائب على مكانة الحج وفضله في الإسلام فكان للبيت وقعاً معنوياً من
خلال ربطه بالنص الديني لأن " التناص يشكل الديني قاعدة يتكئ عليها النص المنتج حين يستند إلى
منابع دينية يدعم بها الشاعر المعمار الفني للخطاب الشعري كما إن الرافد الديني يسهم في تعميق البنية
الموضوعية للقصيدة ويمثل وسيلة من وسائل المعالجة الفنية، إذا يوظف النص الشعري الحديث
النصوص الدينية على المستوى الإفرادي والتركيبى السياقي والصوري مما يثري البناء الفني ويجعل
النص متعدد الدلالات " فالتناص الديني عند أبي تمام لم يكن نصاً غائباً فقط بل وسيلة فنية وفكرية
أسهمت في تعميق المعنى وإثراء الصورة الشعرية ، ومنح البيت قوة تأثير وعمقاً في الدلالة ⁵ وهذا
يؤكد ذلك المكانة الأدبية الرفيعة لأبي تمام وقدرته على توظيف التراث الديني توظيفاً يجمع بين الأصالة
والابتكار مما جعل شعره نموذجاً بارزاً للتفاعل بين النص الديني والنص الأدبي .

- المصدر التراثي

يشكل التراث الشعري ركيزة أساسية عند أبي تمام في استحضاره فالشاعر ليس بمنأى عن التأثير
بالنصوص السابقة أو التفاعل معها من خلال إعادة الفكرة والمعنى واللفظ والأسلوب فالنص الغائب
يمثل المعنى العميق بينما النص الحديث يمثل المعنى القريب، وتتفاعل النصوص الأدبية فيما بينها ، إذ
يقوم الشاعر باستحضار نصوص سابقة وإعادة توظيفها داخل النص الجديد بما ينسجم مع رؤيته الفنية
، ويعد أبو تمام من الشعراء الذين برعوا في توظيف النصوص الغائبة في شعرهم؛ بما يمتلكه من ثقافة
واسعة ووعي فني وأدبي عميق فجاء شعره غنياً بالنصوص السابقة التي تمنح النص الجديد أبعاداً
جمالية ومعنوية فمزج بين الأصالة والإبداع وتحويل الموروث الأدبي إلى عنصر فعال في بناء المعنى
وإثراء التجربة الشعرية ، ويتجلى هذا المعنى بوضوح في قول أبي تمام :

فَتُحْ ثَفَّتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ -- -- وَثَبْرُ الْأَرْضِ فِي أَثْوَابِهِ الْقَشْبِ ⁶

هذا البيت يحمل في معناه نصاً غائباً مع قول ذي الرمة في الصورة الفنية :

إلى لَوَائِحَ مَنْ أَطَّلَعَ أَحْوِيَةً -- -- كَأَنَّهَا حِلٌّ مُوشِيَةٌ لِقَشْبِ ⁷

- 1 - صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر ، دار إحياء التراث العربي ، ط1، 1955 بيروت ، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ، رقم الحديث 2624.
- 2 - مشكاة المفاهيم ، محمد مفتاح ص 42.
- 3 - ديوان أبي تمام ص 191 .
- 4 - صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر ، ط1 ، دار النشر طوق النجاة ، 2001 باب وجوب العمرة وفضلها ، رقم الحديث 1773.
- 5 - آليات التناص النوعي في شعر الحداثة ، أسماء أبوبكر ، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع المدينة المنورة ، ط1 ، 2005 ، ص 46.
- 6 - ديوان أبي تمام ، ص 18.
- 7 - ديوان ذي الرمة ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1973 ، ص 23.

فقد استدعى أبو تمام التراث والوقوف على الأطلال وأعاد تشكيل الصورة ، ولم يقف عند حدود التقليد فيتجلى النص الغائب بتشبيه المشهد " الحلل " القشب " وهي الثياب الجديدة ، فقد نقل أبو تمام هذه الصورة من وصف الأطلال و آثار الديار عند ذي الرمة إلى وصف الأرض بعد الفتح فجعلها تبدو وكأنها ارتدت ثياباً جديدة احتفاء بالنصر ، وهكذا تحول النص الغائب إلى معنى جديد وظف لغرض المدح بمنحه دلالة جديدة أكثر اتساعاً وإبداعاً.

فكل " نص ينتج ضمن بنية نصية سابقة فهو يتعالى بها ويتفاعل معها تحويلاً أو تضميناً أو خرقاً "1 فأبو تمام لا يكتفي بالمحاكاة بل يعيد تشكيل الصور البيانية والمعاني كما يتضح في البيت :

وَقَدْ أَظْلَلْتُ أَعْلَامَهُ ضَحَى -- -- بَعْقَبَانَ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلَ

أَقَامَتِ الرَّايَاتُ حَتَّى كَانَتْهَا -- -- مِنْ الْجَيْشِ إِلَآهَ لَمْ تَقَاتِلْ²

فهناك تفاعل نصي وتداخل نصوص وغياب نص وحضور لنص آخر، هذا البيت فيه نص غائب مع نصوص من العصر الجاهلي كما في قول النابغة :

إِذَا مَا عَذَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ -- -- عَصَائِبَ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ -- -- إِذَا مَا تَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلَ غَالِبٍ³

فالمعنى السابق لنابغة استحضره أبو تمام وهو ملازمة الطير للجيش ، فقد صور النابغة الطيور وهي تحلق فوق الجيش وكأنها تعلم إن المعركة ستخلف قتلى ، فجعلها قرينة للجيش في مسيره ، أما أبو تمام فقد استوعب الصورة وأعاد صياغتها بأسلوب أكثر مبالغة وابتكاراً ، إذ لم يكتف بتصوير الطيور وهي تحلق مع الجيش بل جعلها مقيمة مع الرايات حتى خيل للناظر إنها فرد من أفراد الجيش، فصورة هنا ليست للمصاحبة فقط بل اندمجت مما زادها قوة وتأثير " فالتراث يمثل حقلاً معرفياً خصباً يحتاج إلى نظر نقدي لاختيار العناصر الحية منه، والقدرة على الديمومة والتي تصلح أن تكون شواهد قادرة على التجديد في مواضع جديدة، وتستعصي على استهلاك لما تختزله من ظلال وثرء يأبى الاندثار والزوال"⁴

لذلك يكشف هذا التوظيف قدرة وإبداع أبو تمام إلى تحويل الصورة الموروثة من سياقها السابق إلى سياق أكثر اتساعاً وإحياء .

فالنص الجديد " هو عملية إنتاج وذلك لا يعني أنه نتاج لعمل فحسب بل الفضاء الذي يتصل به الشاعر مع القارئ "⁵ و النص المنجز لحظة الكتابة الشعرية الإبداعية هو النص الجديد الحاضر الواضح أما النص الغامض فهو النص الغائب، فالنتاج الجديد لنص هو ثنائية بين الحضور والغيب "فالنص الغائب كتابات متعددة تتحدر من ثقافات عديدة تدخل في حوار مع بعضها البعض وتتحاكي وتتعارض "⁶ وتظهر ملامح النص الغائب عند أبي تمام في البيت الشعري أيضاً:

هُوَ الْيَمُّ مَنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ -- -- فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودِ سَاحِلُهُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ -- -- لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَقَى اللَّهَ سَائِلُهُ⁷

فهذا البيت يحمل في معناه نصاً غائباً من بيت زهير يقول فيه :

تَرَاهُ إِذَا مَا جَنَّتْهُ مُتَهَلِّلاً -- -- كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ⁸

1 - معجم المصطلحات الأدبية، سعيد يقطين ص 98.

2 - ديوان أبي تمام ، ص 233.

3 - ديوان النابغة ، تحقيق كرم البستنتي ، دار صادر بيروت ، 1963، ص 47 .

4 - "الشاعر العربي المعاصر والتراث ، عبد الوهاب البياني ، مجلة فصول المجلد 1 العدد 4 ، 1981، ص 22.

5 - بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل ، ص 230.

6 - درس السيمولوجيا ، رولان بارت ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي ، ط2 ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1986، ص 87.

7 - ديوان أبي تمام، ص 024.

8 - ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح على حسن ، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1988 ص 29 .

وصف زهير الكرم والجود بالعطاء في حالة الأخذ واستقبال السائل ببشر وابتهاج حتى يبدو السائل هو الذي يمنح ، وهي صورة تبرز سماحة النفس وحسن استقبال المحتاج ، فاستحضر هذا المعنى أبو تمام وأعاد صياغته وتجاوز هذا المعنى وارتقى بصورة الكرم إذ جعل الممدوح على استعداد لأن يوجد حتى بروحه لو لم يجد ما يعطي لسائل ، ثم ختم ليتق الله سائله حتى يخفف السائل من طلبه ؛ لأن الممدوح قد يبالي في البذل إلى حد التضحية بالنفس، مما يدل على براعة أبي تمام كما وصف نفسه في قوله :

يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعَ أَسْمَاعِهِ -- -- كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ¹

فالتثقيف الذاتي عند أبي تمام لم يكن وسيلة إلى العلم السطحي بالأشياء وإنما جاء منه غزيراً متنوعاً حتى صار الشاعر معدوداً في العلماء² " فالفعل التناسي يعتمد أساساً على ثقافة المبدع وتجربته الشعرية متجاوزة ذلك إلى ثقافة القارئ الذي يستطيع أن يعقد موازنات مع نصوص غائبة ، واستحضارها في عملية القراءة كلما سمحت ثقافته بذلك ، ولكي يحقق النص الاستجابة الانفعالية لدى القارئ لا بد أن تلتقي شفراته اللغوية الدلالية والثقافية مع دائرة وعيه ومدى إدراكه لفاعلية هذه التداخلات النصية وقيمتها النفسية والجمالية³

ويتضح أثر النص الغائب في صورة أخرى حيث يقول أبو تمام :

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ دَا وَقَدْ أَفْلَتْ -- -- وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ دَا وَلَمْ تَجِبْ⁴

يوجد نص غائب مع النابغة الذبياني :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ -- -- لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ⁵

في هذه الأبيات يوجد " حضور لنص وغياب آخر نستشفه وندرسه من خبرة عميقة بالأعمال الأدبية ، فالمعرفة لنص الغائب تحتاج إلى تتبع وإلى بصيرة عندما تتداخل النصوص مع بعضها كنص جديد ولا يدرك النص الغائب إلا القارئ المنفتح على نصوص متنوعة ومتعددة " ⁶ " فقد استدعى أبو تمام ثنائية الشمس والأفوال ، ثم أعاد تشكيلها في سياق أكثر تعقيداً وابتكاراً فجعل الشمس مرتبطة بحضور الممدوح فدور النص الغائب في هذا البيت يتمثل في أنه منح أبا تمام أساساً تصويرياً انطلق منه ، ثم نقله إلى مفارقة شعرية تجعل الممدوح نداً للكون ومظاهر الطبيعة ، فالنص الغائب لم يختفي تماماً بل دخل في حوار مع النص الجديد واكتسب دلالة جديدة ف" التناص هو تعالق الدخول في علاقة نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة " ⁷

" التناص شيء لا مناص منه لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتها ومن تاريخه الشخصي أي من ذاكرته " ⁸

تبين إن النص الغائب من التراث الشعري قد شكل أحد أهم الروافد الفنية في شعر أبي تمام ، إذ أفاد الشاعر من معاني وأساليب وصور الشعراء السابقين دون أن يقف عند حدود التقليد ، فقد أعاد توظيف النصوص وربطها بسياقات جديدة تناسب أغراضه الشعرية

- 1- ديوان أبي تمام، ص 136.
- 2- أبو تمام بين ناقدية قديماً وحديثاً دراسة نقدية لمواقف الخصوم والأنصار ، عبد الله بن حمد ، ط1 ، مطبعة المدني القاهرة ، للنشر والتوزيع ، 1992 ، ص 492.
- 3- التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر ، عبد الجليل صرصور ، مجلة جامعة الأزهر غزة ، المجلد 11 العدد 2 ، 2009
- 4- ديوان أبي تمام ، ص 19.
- 5- ديوان النابغة ، ص 83 .
- 6- ينظر النص والتناص، رجاء عيد مجلة علامات في النقد ، جدة ، مجلد 5، ج 18، 1990، ص 184.
- 7- تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص ، محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط 2 ، 1985 ، ص 121.
- 8- المصدر السابق، ص 123.

المبحث الثاني الوظائف الفنية والدلالية للنص الغائب عند أبي تمام

- **تعميق الدلالة** يزيد النص الغائب من تعميق دلالات المعنى فيجعل القارئ بين النص الغائب والنص المستحضر، فيتولد معنى جديد ويستدعي معاني النص الأصلي وإحياءاته ويمنح النص أبعاداً فكرية وجمالية جديدة، كما أنه يجعل المعنى غير محصور في ظاهر الألفاظ بل ممتد إلى ما وراء النص من ثقافات وتجارب ونصوص تتقاطع مع النص الحديث فيمنح النص إبعاداً رمزية وفكرية لا تتحقق بالتصريح المباشر، فيخلق حواراً بين الماضي والحاضر ويجعل العمل الأدبي امتداداً لتراث إنساني وثقافي واسع وهذا التفاعل بين النصوص يضيف على العمل أو النص أصالة وإبداعاً، إذ يعيد الكاتب توظيف المعاني القديمة في سياقات جديدة وذلك يزيد من العمق الدلالي للمعاني

كما قالت عنه جوليا كريستيفا "إن النص الغائب مع النص الظاهر ينتج نص يسمى النص المولد

11

مما يمنح النص الحديث ثراءً وجمالاً يجعلان المعنى له أبعاداً دلالية، ويتضح ذلك في قول أبي تمام في قصيدته المشهورة فتح عمورية:

السيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ -- -- فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ²

في هذا البيت يؤكد أبو تمام إن القوة والحسم في ميدان الحرب أبلغ من الوعود وإن السيف هو الذي يفصل، فنجد هناك نصاً غائباً يتمثل في قول عمر بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا -- -- فَتَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ³

فبيت عمر بن كلثوم يرسخ أيضاً فكرة القوة وعدم قبول الإهانة بينما يعيد أبو تمام تقديم الفكرة في سياق جديد فيجعل السيف هو الرهان الذي يحسم النزاع، كما زاد النص الغائب من عمق الدلالة لأنه لم يجعل المعنى ظاهراً فقط بل إلى استحضار معانٍ أخرى كامنة في الذاكرة الأدبية، فالمعنى الظاهر هو السيف والحسم والمعرفة لكن وجود نص غائب وسع الدلالة فلم يعد السيف أداة حرب فقط بل أصبح رمزاً للعزة والكرامة وهنا نتعمق الدلالة للبيت فعمق النص الغائب قد زاد من عمق الدلالة وانتقل المعنى مع دلالاته الغائبة إلى دلالة أوسع ترتبط بالقيم العربية في الفخر والمدح والدفاع مما أعطى لنص تويّلات أخرى مع عمق المعاني، وهذا يتجلى أيضاً مع بيت الشاعر سابق بن عبدالله في العصر الأموي عند ما قال:

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثُ فِي مَهْلٍ -- -- وَلَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَ الْجَدِّ تَأْدِيبُ⁴

يظهر العمق الدلالي من خلال التوافق في الفكرة بين البيتين فكلاهما يؤكد إن الأمور بعضها لها نتيجة في أوقات السلم والهدوء أما عند اشتداد المواقف ووقت الحسم فلا تجدي إلا القوة فاستحضار النص الغائب قد عزز المعنى الذي أراده أبو تمام وهو إن لكل مقام وسيلته، فانطلقت دلالة البيت من المعنى الأول إلى المعنى الثاني مع العمق فاكتسب النص عمقاً دلالياً، "إن شعر أبي تمام منفتح على الوجود يراجع التسميات بحكم ما يدركه منها في علاقاتها بمسمياتها ومنفتح عليها انفتاحاً تاريخياً والانفتاح على الوجود الواقعي أو الحقيقي مشرع على الشعر غير أنه لا يشرع عليه ليصوره أو يعكسه أو يعبر عنه فقط مثلما يفتح الكلام على المرجع بالإشارة"⁵ يتبين إن النص الغائب شكل ركيزة أساسية في البناء الدلالي لشعر أبي تمام فلم يكن استحضار الألفاظ والمعاني وإنما كان فعلاً إبداعياً يقوم على استدعاء

1 - نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، حسين خمري ، دار النشر الدار العربية لنشر بيروت لبنان ، ط 1 ، 2007 ، ص 237.

2 - ديوان أبي تمام، ص 18 .

3 - ديوان عمر بن كلثوم ، تحقيق أيمن ميدان ، النادي الثقافي ، جدة ، 1963 ، ص 46.

4 - البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 2 ، 1986 ج 3 ، ص 49 .

5 - صياغة لغة الشعر في ديوان أبي تمام ، حسين الواد دار الجنوب للنشر تونس ، ص 93.

الموروث بما ينسجم مع رؤيته الفنية ، وقد أسهم هذا التفاعل بين النص الحاضر والغائب في توسيع أفق الدلالة.

بناء الصورة الشعرية

النص الغائب من أهم الوسائل الفنية التي يعتمد عليها الشعراء في بناء الصورة الشعرية وإثرائها إذ يقوم باستحضار نصوص أو شخصيات أو صفات معروفة ويؤدي هذا الاستحضار إلى إعطاء الصورة أبعاداً فنية لها صلة بالمعنى والجمال ، ويتجلى ذلك عندما يقوم الشاعر بدمج النص الغائب في النص المولد فيرسم صورة مركبة مؤثرة تنثير خيال المتلقي .

كما في قول أبي تمام :

إِقْدَامُ عَمْرٍ فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ -- -- فِي حُلْمٍ أَخْفَفَ فِي ذُكَاةِ إِيَّاسٍ¹

في هذه الصورة جمع أبو تمام صفات أشهر الشخصيات العربية وهي شجاعة عمر ، وكرم حاتم ، وحلم الأحنف ، فصوره إنساناً قد بلغ الغاية في جميع الفضائل وهذا تشبيه قد تجلى فيه النص الغائب مع بيت يزيد:

لَهَا حُكْمٌ لِقَمَانٍ وَصُورَةٌ يَوْسُفَ -- -- وَنَعْمَةٌ دَاوُودَ وَعِفَّةٌ مَرْيَمَ²

في هذا التشبيه و من خلال النص الغائب استحضر الشاعر شخصيات دينية سابقة في ذاكرة الشاعر فتولد عند أبي تمام النص الغائب وجمع صفات عربية لشخصيات تتصف بالكمال النسبي فغدت الصورة من خلال النص الغائب أكثر ثراء وإحياء ؛ لأن الممدوح لا يوصف بصفة واحدة بل صورة مركبة تجمع أسمى الفضائل كما أن يزيد قد وصف المرأة بصفات مركبة من خلال التشبيه باستحضار حكمة لقمان وجمال يوسف وعذوبة داوود ، كما نلاحظ إن في بيت يزيد أيضاً هناك نص غائب وأصبح البيت نص غائب أيضاً لبيت أبي تمام فأسهل في بناء صورة شعرية زاخرة بالإشارات والدلالات تتجاوز الوصف المباشر إلى تصوير الممدوح في هيئة تجمع بين أسمى الفضائل ، فالصورة قد تتأثر وتؤثر في النص الغائب فتتسع آفاق التأويل ، وتصبح أكثر حيوية ويتجلى ذلك أيضاً في بيت جرير :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا -- -- وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطُونٍ رَاحَ³

نلاحظ في البيتين مبالغة في إظهار الممدوح وتقوّه وإن اختلفت الرواية ، فقد استحضر أبو تمام هذه الصور الفنية القوية فقد اشترك البيتان في المبالغة في وصف الممدوح من الصورة الفنية وجمع فضائل أعلام العرب مما اكسب الصورة الفنية عمق وثراء في المعنى " إن أي نص مهما كان هو نتيجة تفاعل مع النصوص أخرى تنتهي إلى آفاق مختلفة تكون درجة وجودها بحسب نوع النص المنقولة إليه وأهداف الكاتب"⁴

فالنص الغائب قد زاد من جمال التشبيه لأنه منح الصورة الشعرية أبعاداً تتجاوز التشبيه وقد استدعى أبو تمام كل ما هو جميل من الصفات ، فانتقل التشبيه من المقارنة إلى بناء صورة مركبة تجمع فضائل متعددة " والعالم الشعري يعيد صياغة النظام اللغوي ويعيد ترتيبه وتنظيمه وذلك بالانطلاق مما ليس له في الوجود وجود حقيقي حتى لا يحد منه الكلام بمراجعة أو يتقيد بقيود التعبير وقياسات المنطق"⁵

1 - ديوان أبي تمام ، ص 241 .

2 - ديوان الواواء دمشقي ، تحقيق سامي الدهان ، بيروت 2 ، 1993 ، ص 65.

3 - ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق نعمان محمد طه ، دار المعارف القاهرة ، 1986 ، ص 204.

4 - تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ، محمد مفتاح ، ص 42.

5 - لغة الشعر في ديوان أبي تمام ، حسين الواد ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 2005 ، ص 91.

إبراز دور المتلقي

يجعل النص الغائب المعنى قائماً على المشاركة بين الشاعر والقارئ، فالشاعر لا يقدم كل النص الغائب بكل وضوح بل يستدعي نصوصاً وشخصيات ومواقف ويترك المتلقي مهمة الاستحضار الذهني وما يحمله هذا الاستحضار من معاني، " فالأدب عملية إبداع جماله من منشئه وهو عملية تذوق ممن الشاعر إلى المتلقي "1

فالاستدعاء يكسب المعنى قوة وثقة، ويبرز دوره وتذوقه لأنه يعتمد على قدرته في التعرف على الرموز وربطها بالنص الحاضر فيشارك في بناء الدلالة وتأويلها كما في قول أبي تمام :

يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعَ أَسْمَاعِهِ -- -- كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ 2
مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مُعَاراً -- -- أَوْ مُعَاداً مِنْ قَوْلُنَا مَكْرُوراً 3

من خلال هاتين البيتين يكتمل المعنى باستحضار المتلقي ما هو ضد قول أبي تمام فزهير يرى أن سبق الأوائل لكل المعاني جعل اللاحقون يعيدون المعاني بألفاظ جديدة فقط بينما يرى أبو تمام إن هناك معاني لم تقال وسياقات لم تطرق فيتجلى دور المتلقي في اكتشاف النص الغائب بين البيتين وإقامة علاقة تضاد لكنها مبنية على نصوص غائبة، ومن خلال هذه المقارنة الذهنية يفهم المتلقي، إن الإبداع لا يعني تأثير النص الغائب من خلال النوع نفسه بل حتى بالضد للمعنى يتكون نص غائب يمكن استدعائه بأسلوب جديد، مما يجعل القارئ شريكاً في إنتاج المعنى وتأويل النص عن طريق طرق عديدة منها انحراف النص " الانحراف حيلة مقصودة لجلب انتباه المتلقي "4

ويتضح ذلك حتى من خلال قول أبي تمام :

السَيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ -- -- فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ 5

وبين قول عنتره :

يَدْعُونَ عَنَتَرَ وَالرِّمَاحَ كَأَنَّهَا -- -- أَشْطَانُ بَنَرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ 6

فالمتلقي دوره أن يستحضر كل المعاني المشابهة لصورة الفارس فيفهم أن السيف عند أبي تمام ليس أداء للحرب فقط، بل رمز للقوة والحسم كما كان رمزاً للشجاعة والقوة والإقدام لعنتره، فنجد أن دور المتلقي لا يقتصر على فهم البيت والصورة فقط، بل اكتشاف العلاقة بين بيت أبي تمام وبيت عنتره فيستحضر القارئ صورة الفارس الجاهلي الشجاع وما تحمله من دلالات البطولة والإقدام، وبذلك لا يقتفي المتلقي بالمعنى الظاهر لسيف بل يستحضر مع الشاعر النص الغائب مما يعمق دلالة البيت ويجعل المتلقي جزءاً من العملية الإبداعية، " فمنذ أن درس الأدب درس جانبه التأثيري إذ لا يتحقق للأدب وجود إلا بتأثيره في النفوس "7 لذلك كان النص الغائب في شعر أبي تمام وسيلة لإشراك المتلقي في عملية بناء المعنى فالمتلقي مبدع آخر للنص، مما يجعل القراءة فعلاً إبداعياً يتجدد مع اختلاف الخلفيات الثقافية للقراء، وهذا ما يؤكد إن قيمة النص الغائب لا تكمن في حضوره فقط وإنما في الحوار الذي يقيم مع النص الحاضر والغائب والأثر الذي يحدثه في وعي المتلقي وإنتاجه للدلالة.

1 - الإبداع والتلقي، عبد الرحمن القعود، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 25، العدد 4، 1997، ص 174

2 - ديوان أبي تمام ص 136.

3 - ديوان زهير ص 94.

4 - اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري محمد عياد، القاهرة، ط1، 1988، ص 198.

5 - ديوان أبي تمام، ص 18.

6 - ديوان عنتره، تحقيق فزوي عطوي، دار صادر بيروت، ص 67.

7 - استقبال النص عند العرب، رضا مبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 1996، ص 35.

إبراز ثقافة الشاعر

يسهم النص الغائب إسهاماً كبيراً في إبراز ثقافة الشاعر الأدبية والدينية والتاريخية ، ويكشف عن مدى اتساع معرفته بالتراث الأدبي وقدرته على توظيف ما عرفه من نصوص وشخصيات وأحداث في بناء شعره، فالشاعر لا يستحضر ويستدعي النصوص السابقة استحضاراً عابراً ، بل يختار منها ما يوظف من خلاله فكرته ويمنح نصه عمقاً دلاليّاً ، فقول أبي تمام :

إِفْدَامُ عَمْرٍ فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ -- -- فِي حُلْمٍ أُخْنَفَ فِي ذُكَايَ إِيَّاسٍ¹

فإن استحضار هذه الشخصيات العربية التي ذاع صيتها يدل على معرفة أبي تمام بالتراث العربي وبأخبار وأيام العرب ، كما يكشف عن قدرته على جمع هذه الرموز في صورة شعرية جديدة وهذا يدل على سعة إطلاعه وعمق معرفته بالموروث وقدرته على إعادة توظيف الموروث الأدبي في سياق جديد ، فيصبح النص الشعري مجالاً للحوار بين الماضي والحاضر ، " فالأدب ليس مجرد تجميع عشوائي لكتابات مبعثرة عبر التاريخ ، فالأعمال الأدبية مصنوعة من أعمال أدبية أخرى وليس من أي مادة خارج النظام الأدبي ذاته " ² فكلما اتسعت ثقافة الشاعر انعكست على نصوصه ويظهر ذلك جلياً في قول أبي تمام :

إِذَا مَا غَذَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ -- -- عَصَائِبَ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
جَوَانِحٍ قَدْ أُيْقِنَ إِنَّ قَبِيلَةَ -- -- إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلَ غَالِبٍ³

يصف النابغة ميدان الحروب فيصور العقبان وقد حلقت فوق الرؤوس لأنها تعلم أن المعركة ستخلف قتلى ، فأخذ أبو تمام هذه الصورة وجعلها نص غائباً في صورته التي يقول فيها :

أَقَامَتِ الرَّاياتُ حَتَّى كَانَهَا -- -- مِنْ الْجَيْشِ لِأَنَّهُ لَمْ تَقَاتِلْ
وَقَدْ أَظْلَلَتْ أَعْلَامَهُ ضَحَى -- -- بَعْقَبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلٍ⁴

فقد وظف النص الغائب من هذه الفكرة ولكن طورها من الوصف إلى التشخيص فعند النابغة الطيور تحلق وتنتظر، أما عند أبي تمام فقد منحها صفات إنسانية فهي تقيم مع الجيش وكأنها أحد أفرادها ، ومن خلال هذه الصورة يتضح قدرة الشاعر على استرجاع القديم فهو لا يكرر القديم بل يستثمره ويعيد صياغته مما يعكس سعة إطلاعه وقدرته الفنية ووعيه بالتراث الشعري وتحويل هذا التراث إلى عمل إبداعي مع صور بيانية جديدة كذلك تتجلى قدرة أبي تمام في بيته المشهور :

أَيْنَ الرِّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا -- -- صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبٍ⁵

نلاحظ إن هذا البيت استحضر فيه أبو تمام الموروث الديني و الرد على التنجيم من المثل الشائع أو القول المأثور الذي يرفض التنجيم وادعاء الغيب وأعاد صياغتها

" كذب المنجمون ولو صدقوا " ويكشف هذا التوظيف عن إطلاع الشاعر على الثقافة الدينية السائدة وإدراكه للموقف العقيدي من التنجيم ، وهذا أيضاً فيه إشارة إلى الحديث النبوي " من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل صلواته أربعين يوماً " ⁶

كما يدل على قدرته على تحويل المعارف الدينية إلى بناء فني وبلاغي متماسك .

فالنص الغائب يكشف عن ثقافة أبي تمام التي تمثلت في التراث الشعري والديني فاستوعب مضامينها وأعاد إنتاجها في صور شعرية جديدة ، مما جعل النص الغائب وسيلة للإبداع وإثراء الدلالة ، وليس

1 - الديوان ص 241

2 - نظرية الأدب ، تيري إيجلتون ، ترجمة ثار أديب ، منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق ، 1955، ص 16.

3 - ديوان أبي تمام ، ص 47.

4 - المصدر السابق ، ص 233.

5 - المصدر السابق، ص 11.

6 - صحيح مسلم ،باب تحريم الكهانة ، رقم الحديث 2230.

استدعاء نصوص فقط أو محاكاة وتكرار، كما كان توظيفاً واعياً يعكس سعة ثقافته وقدرته على إعادة إنتاج الموروث الثقافي واستعماله في معاني جديدة .

الخاتمة

بين هذا البحث إن ظاهرة النص الغائب لم تكن عند أبي تمام تضمين واقتباس أو إشارة فقط بل عملية إبداعية يعيد فيها الشاعر تشكيل النصوص السابقة وفق رؤيته الشعرية ، فيمنحها دلالات جديدة تتلاءم مع تجربته الشعرية والفكرية ، بوصفها إحدى أبرز السمات الفنية وقد وظف فيها الشاعر النصوص السابقة في بناء قصيدته ، وتوظيف النص الغائب في سياقات جديدة تمنحها دلالات مبتكرة ، فالنص الأدبي لا يكتمل إلا من خلال التفاعل بين النصوص الغائبة والنصوص الحاضرة ، بحيث لا يكتمل المعنى إلا باستحضار تلك النصوص الكامنة وراء النصوص الحاضرة فتتجلى تلك النصوص في شعر أبي تمام بوصفه نصاً مفتوحاً على ثقافات متعددة يجمع بين التراث والابتكار وبين الحضور والغياب وما يكشف عنه حضور النص الغائب في القصيدة ، وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات أهمها :

النتائج

- النص الغائب يمثل عنصراً أساسياً في تشكيل شعر أبي تمام وليس تجربة شعرية ومحاكاة فقط.
- اعتمد أبو تمام على مصادر متعددة للنص الغائب من أبرزها القرآن الكريم والحديث النبوي والتراث الشعري .
- أسهمت ثقافة أبي تمام في تكوين شعره الذي اعتمد على النصوص الغائبة مع إعادة فنية جديدة للقصيدة .
- كان هناك تفاعل بين النص الحاضر والنص الغائب مما جعل قصيدة أبي تمام فضاء للحوار بين الماضي والحاضر .
- لم يكن الغموض في بعض شعر أبي تمام ظاهرة معقدة بل من جماليات شعره الذي يحتاجه المتلقي للكشف عن النصوص والمعاني الغائبة .

التوصيات

- إجراء دراسات مقارنة بين توظيف النص الغائب عند أبي تمام وغيره من شعراء عصره لإبراز أوجه الاختلاف والاتفاق .
- تطبيق المناهج النقدية الحديثة في شعر أبي تمام للكشف عن الجوانب الجمالية للنصوص الغائبة .
- الاستفادة من التقنيات الرقمية في رصد مظاهر التناس الغائب وتحليلها.
- الاهتمام بظاهرة النص الغائب في شعر أبي تمام فهي ظاهرة إبداعية واعية تقوم إعادة الإنتاج والتأويل وليست المحاكاة فقط .
- تشجيع وحث الدارسين على دراسة النصوص الأدبية والتاريخية في تشكيل البنية الفنية في شعر أبي تمام.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- أبو تمام بين ناقدية قديماً وحديثاً دراسة نقدية لمواقف الخصوم والأنصار ، عبد الله بن حمد ، ط1 ، مطبعة المدني القاهرة ، للنشر والتوزيع ، 1992 .
- 2- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، يوسف غليسي ، الدار العربية للعلوم بيروت ط1 ، 2008.
- 3- استقبال النص عند العرب ، رضا مبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ط1 .

- 4- الإبداع والتلقي ، عبد الرحمن القعود ، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، المجلد 25، العدد 4، 1997 .
- 5- آليات التناسل النوعي في شعر الحداثة ، أسماء أبوبكر ، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع المدينة المنورة ، ط1 ، 2005.
- 6- بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1992 .
- 7- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1986 .
- 8- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني ، تحقيق إبراهيم التريزي ، دار صادر بيروت ، 1979.
- 9- التناسل التراثي في الشعر العربي المعاصر ، عصام واصل ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2011 .
- 10 - تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناسل ، محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط2 ، 1985.
- 11- التناسل في الشعر الفلسطيني المعاصر ، عبد الجليل صرصور مجلة جامعة الأزهر غزة ، المجلد 11 العدد 2 ، 2009 .
- 12- الخطاب والنص المفهوم العلاقة السلطة ، عبد الواسع الحميري ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 2008 .
- 13- درس السيمولوجيا ، رولان بارت ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي ، ط2 ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1986 .
- 14- ديوان ذي الرمة ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق مجيد طراد ، دار الكتاب العربي .
- 15- ديوان أبي تمام ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة .
- 16- ديوان النابغة ، تحقيق كرم البستني ، دار صادر بيروت ، 1963.
- 17- ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح علي حسن ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1988 .
- 18- ديوان عمر بن كلثوم ، تحقيق إيمن ميدان ، النادي الثقافي ، جدة ، 1963.
- 19- ديوان عنتر ، تحقيق فوزي عطوي ، دار صادر بيروت .
- 20- ديوان الواواء دمشقي ، تحقيق سامي الدهان ، بيروت ط2 ، 1993 ، ص 65.
- 21 ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق نعمان محمد طه ، دار المعارف القاهرة ، 1986 .
- 22- الشاعر العربي المعاصر والتراث ، عبد الوهاب البياني ، مجلة فصول المجلد 1 ، العدد 4 ، 1981 .
- 23- صياغة لغة الشعر في ديوان أبي تمام ، حسين الواد دار الجنوب للنشر تونس .
- 24- صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1955.
- 25 - صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر ، ط1 ، دار النشر طوق النجاة ، 2001 .
- 26- النص والتناسل ، رجاء عيد ، مجلة علامات في النقد ، جدة ، مجلد 5، ج 18، 1990 .
- 27- النص الغائب تجليات التناسل في الشعر العربي ، محمد عزام ، اتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا 2001 .
- 28- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، بن منظور المجلد السابع 1988 دار صادر بيروت .
- 29- لغة الشعر في ديوان أبي تمام ، حسين الواد ، دار الغرب الإسلامي ، 2005 ، ط1 .
- 30- اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي ، شكري محمد عياد ، القاهرة ، ط1، 1988.
- 31 - معجم المصطلحات الأدبية سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان .
- 32 - مفهوم بنية النص "اللسانية والشعرية والأسلوبية والتناسلية" ، وائل بركات ، دار معد دمشق ، ط1، 1996.
- 33- مشكاة المفاهيم "النقد المعرفي والمثاقفة" ، محمد مفتاح المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ، 2000.
- 34- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، حسين خمري ، دار النشر الدار العربية للنشر بيروت لبنان ، ط1 ، 2007 .
- 35 - نظرية الأدب ، تيري إيجلتون ، ترجمة ثار أديب ، منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق ، 1955 .

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of LJCAS and/or the editor(s). LJCAS and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.